

Challenges Facing the Muslim Woman in Contemporary Life and the Fatimi Model (The Hijab as a Case Study)

Sawsan Hasan Al-Fadhli¹

Ph.D. in Comparative Exegesis at Al-Mustafa International University

Abstract:

Prior to the advent of Islam, women lived marginalized from their societies, excluded from the course of life. This exclusion manifested in the deprivation of the rights God had granted them. Consequently, they lived as captives to false beliefs imposed upon them, forced to exist with their dignity violated, being considered the root source of all evil and tribulation. They endured immense suffering under a society that accorded them no value, indeed deeming their very existence a source of shame and disgrace. This led many to pass a judgment upon them that they were unworthy of life, a verdict they carried out in cold blood through the widespread practice of female infanticide during that era. Furthermore, some who allowed women to live did so not for their sake, but merely to exploit them—either by burdening them with arduous labor or by using them as instruments for the fulfillment of their own desires. With the dawn of Islam, a new life was decreed for women. Islam brought forth rulings pertaining to women that guaranteed them a life of happiness. It established them as fundamental elements within human society, granted them all the rights they had been denied, and even accorded them an elevated status within the community.

As is the custom of the enemies of God, they strive to assail the Islamic religion. Among the issues they have focused on is the matter of the Hijab (Islamic veil). Advocates of unveiling have propagated claims that the Hijab is incompatible with the circumstances of contemporary life, that it deprives women of enjoying life's pleasures, hinders their contribution to serving and developing society, and strips them of personal freedom, among other such assertions. They have presented distorted models of women put forward in societies as Muslims, who in reality live a modern-era form of the ignorance (Jahiliyyah) of old within a contemporary framework, crafted as instruments to fulfill male desires. In truth, they are mere commodities bought and sold in 'civilized' markets reminiscent of slave markets. This necessitates the presentation of exemplary role models of righteous women, such as the pure Lady Fatimah— who has been deliberately obscured – with the aim of awakening societies from their deep slumber. It demonstrates that a Muslim woman can lead a normal life, learn, and work without the Hijab being an obstacle. On the contrary, she can be a leader capable of confronting challenges within her society, transforming them into opportunities that serve her community and all of humanity, as was the case with the pure Lady Fatimah Al-Zahra.

Keywords: Woman, Muslim, Contemporary, Challenges, Hijab (Veil), Model, Fatimi.

¹ Email: noon6236@gmail.com

تحديات المرأة المسلمة في الحياة المعاصرة والأنموذج الفاطمي (الحجاب أنموذجا)

سوسن حسن الفضلي^١

دكتوراه في التفسير المقارن في جامعة المصطفى العالمية

المستخلص:

لقد كانت المرأة قبل الإسلام تعيش بعيدة عن مجتمعها حيث تم إقصائها عن ركب الحياة، وهذا الإقصاء قد تمثل في حرمانها لحقوقها التي منحها الله إياها، فعاشت في ذلك المجتمع أسيرة معتقدات باطلة فرضت عليها أن تعيش مهدورة الكرامة كونها أساساً لكل شر وبلاء، فعانت الكثير في ظل مجتمع لا يقيم لها وزناً بل يعتبر وجودها مدعاة للعار والذل، الأمر الذي جعل الكثيرون يصدرن حكماً عليها مفاده أنها لا تستحق الحياة وقاموا بتنفيذ هذا الحكم بدم بارد حيث شاع في تلك الفترة وأد البنات، كما نجد أيضاً أن هناك من أبقى على هذه المرأة لا شيء وإنما ليستفيد من وراءها إما بتكليفها بالأعمال الشاقة وإما بجعلها أداة لتنفيذ شهواته، وعند بزوغ فجر الإسلام كُتب لهذه المرأة حياة جديدة كون الإسلام جاء بأحكام متعلقة بالمرأة تكفل لها العيش بسعادة، فقد جعل منها عنصراً أساسياً في المجتمع الإنساني ومنحها كل الحقوق التي حُرمت منها بل وجعل لها مكانة رفيعة في داخل المجتمع، وكعادة أعداء الله نجدهم يسعون إلى الطعن في الدين الإسلامي، ولعل مسألة الحجاب من المسائل التي ركز عليها دعاة السفور من خلال نشرهم لإدعاءات مفادها أن الحجاب لا يتفق مع ظروف الحياة المعاصرة، أو أنه يحرم المرأة من التمتع بمباهج الحياة، وأنه يعوقها عن الإسهام في خدمة المجتمع وتطوره، وأنه يحرمها من الحرية الشخصية وغيرها من هذه المقولات، ولقد اختاروا نماذج ممسوخة لنساء قُدمن في المجتمعات على أنهن مسلمات لكنهن في الحقيقة يعشن جاهلية العصر القديم بإطار حديث كونهن أدوات صنعن لتنفيذ رغبات الرجال، فهن في الحقيقة سلع تباع وتشترى في أسواق متمدنة شبيه بأسواق الرقيق، فكانت الحاجة إلى تقديم نماذج لقدوات صالحة كالسيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام -والتي غُيّبت عمداً- بهدف إيقاظ المجتمعات من سباتها العميق، وبيان أن المرأة المسلمة تستطيع أن تمارس حياتها الطبيعية وتتعلم وتعمل دون أن يعوقها الحجاب بل يمكنها أن تكون قائدة قادرة على مواجهة التحديات في مجتمعها وتحويلها إلى فرص تخدم مجتمعها والبشرية أجمع كما كان حال السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

الكلمات الرئيسية: المرأة، المسلمة، المعاصرة، تحديات، الحجاب، الأنموذج، الفاطمي.

المقدمة

تمثل المرأة في المجتمع البشري العنصر الهام الذي يلعب أدوراً بارزة وفعالة في جميع مجالات الحياة المختلفة، فالمرأة تمثل الركيزة الأساسية لذلك المجتمع فهي إن صلحت صلح سائر أفراد المجتمع وإن كانت غير ذلك سقط ذلك المجتمع في هاوية الرذيلة والفساد والانحطاط، وما ذلك إلا لكون المرأة هي المعلم الأول الذي يشرف على تربية الأبناء ورعايتهم وتهيئة الأجواء المناسبة لتثقيتهم وتنشئة الصالحة حيث تعمل على تغذيتهم بالفكر السليم الذي يضمن عملية التوازن لذلك المجتمع، بالإضافة إلى ذلك نجد المرأة تؤدي دوراً هاماً في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي فهي في الأساس شريك حقيقي مساهم في بناء وإغناء التجربة الإنسانية على جميع الأصعدة، ومنذ أن أوجد الله تعالى الإنسان على هذه الأرض نجد أن المرأة كانت هي الهدية الإلهية التي منحها الله تعالى للرجل كونه يفتقر في التكوين الطبيعي وفي تأسيس حياته الاجتماعية إلى جنس المرأة، ولذلك نجدها قد لعبت أدوراً هامة في مختلف المواقف والمراحل الزمنية، ولعل أهم تلك المواقف ما كان مرتبطاً بالرسالات السماوية، حيث نجد أن حياة الأنبياء والمرسلين لم تكن خالية من وجود المرأة فيها بل إننا نجد المرأة قد مثلت السند والمعين والمكمل لتلك الدعوات والرسالات الإلهية، وفي المقابل نجد نماذج من النساء كان لهن الدور الكبير في أذية أنبياء الله تعالى حيث مثلن نوع من أنواع الإبتلاء الإلهي لذلك النبي أو ذلك الرسول كتلك النماذج التي ذكرها الله تعالى في سورة التحريم والتي ابتلي بها نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله تعالى «وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (التحريم: ٣) أو تلك التي ابتلي بها نبي الله نوح ولوط والذي تحدث عنها القرآن الكريم بقوله تعالى «صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُوحَ وَامْرَأَةٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» (التحريم: ١٠) ولعل ما يهمننا هنا هي النماذج التي كان لها الدور الكبير في حفظ الرسالات السماوية كنموذج السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والتي كانت مثلاً يحتذى به في العفة والطهارة من خلال تمسكها بحجابها الذي لم يمنعه من ممارسة دورها في هذه الحياة، بل نجدها قد لعبت دوراً هاماً في الحفاظ على الرسالة المحمدية الأصيلة وكان لها الدور الكبير في مواجهة الجبت والطاغوت وإيصال البشرية إلى بر الأمان مع التزامها بحجابها، ولم يعقها هذا الحجاب عن أداء دورها الرسالي، كما يشيع ذلك أصحاب النفوس المريضة اليوم حول الحجاب في كونه لا يخدم المرأة في حياتها المعاصرة بل يُعد عائقاً لها أمام ممارستها لأنشطتها الحياتية، ولعل المطالع في حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يجد أن هذا الحجاب قد شكل الدرع الذي اختاره الله للمرأة لكي يحميها

من تلك النفوس المريضة التي تريد اشباع غرائزها البهائية على حساب هذه المرأة التي لا تشكل لمثل هذه النفوس أي رقم في هذه الحياة، ولعل السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قد اختارت أن تكون شهيدة العفة والحجاب حين توارت خلف باب داره والذي سحقته أضلاعها الشريفة بينه وبين الجدار لتوصل لكل امرأة هذه الرسالة في ضرورة تمسكها بحجابها إن كانت تبحث عن سعادتها في الدنيا والآخرة..

الحجاب في اللغة والاصطلاح:

الحجاب في اللغة :

- قال ابن منظور : الحجاب الستر، حجب الشيء يحجبه وحجابا وحجبه : ستره، واحتجب وتحجب : اكنن من وراء حجاب، وامرأة محجوبة : قد سترت بستر، والحجاب اسم ما احتجب به وكل ما حال بين شيئين حجاب، والجمع حجب لا غير (ابن منظور، ١٣٣٠هـ ج ٤، باب الحاء، مادة حجب ٢: ص ٧٧٧)
- كلمة الحجاب تعني البُرْدَة والحاجب، لكن استعمالها في الأعم جاء بمعنى البُرْدَة، وتدل هذه الكلمة على مفهوم الستر هنا باعتبار أن البُرْدَة وسيلة للستر، ولعلنا يمكننا القول: إن كل ستر ليس بحجاب في أصل اللغة، بل ما يُدعى حجاباً هو الستر الذي يفصل تماماً في فصل البُرْدَة عما وراءها، فيصف القرآن غروب الشمس بقوله: «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» (سورة ص: ٣٢) يعني بعد الفصل التام بينها وبين الرائي، والغشاء الحاجز بين القلب والجوف يُدعى "الحجاب الحاجز"، وفي عهد الإمام عليه السلام لمالك يقول: «فلا تطولن احتجابك عن رعيتك»، "فالحجاب هنا الخفاء والعزلة" (مركز المعارف للتأليف والتحقيق، ٢٠١٥م: ص ٦٢).

- والحجاب من حيث اللغة يعني «الحائل بين الشيئين» (ابن منظور، ١٣٣٠هـ ج ٤ مادة "حجب: ص ٧٧٧) ولذلك يسمى الحاجز الموجود بين الأمعاء والقلب والرئة بالـ «الحجاب الحاجز» (الشيرازي، ١٩٩٢م، ج ١٧: ص ٤٠١) وكلما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم كان القصد منها «الستار أو الحائل» (الشيرازي، ١٩٩٢م، ج ١٧: ص ٤٠٢) والحجاب الشرعي للمرأة هو «ستر كامل الجسد ما عدا الوجه والكفين» (ابن الجوزي، ١٩٩٧م؛ ص ١٨١) «يكفي للحجاب الواجب الشرعي أن تستر المرأة جسدها ما عدا الوجه والكفين بأي ملابس متاح ولا يشترط في هذا الأمر ارتداء زي خاص وإنما الإشكال يقع في ارتدائها أزياء ضيقة تظهر وتبرز مفاصل الجسد وأزياء الزينة» (الشيرازي؛ ٢٠٠٣م: ص ٣٩٧)

-الحجاب في اللغة هو الستر والحجب والمنع، والجذر هو حَجَبَ، ويسمى (الحارس أو البواب) بـ (الحاجب) لأنه يحمي المكان الذي يحرسه ويمنع الوصول إليه، ويطلق أيضا على حاجب العين لأنه «يَحْجُبُ عن العين شُعاع الشمس» (ابن منظور، ١٣٣٠هـ ج ٤ مادة حجب: ص ٧٧٧)،

وقد وردت كلمة (حجاب) في القرآن الكريم في عدة مواضع كانت تأتي بمعنى «الحائل الحاجز المانع عن تلاقي شئين أو أثرهما» ("معنى كلمة حجب". المرجع الالكتروني للمعلوماتية)

الحجاب في الاصطلاح

- «كل ما يستر المطلوب» (الجرجاني، ٢٠٠٧م: ص ٨٧)
- «فالحجاب لفظ ينتظم جملة من الأحكام الشرعية الاجتماعية المتعلقة بوضع المرأة في المجتمع الإسلامي، من حيث علاقتها بمن لا يحل لها أن تظهر زينتها أمامهم» (المقدم، ٢٠٠٧م، ج: ٣، ص ٧٧)
- «هو ستر المرأة جميع بدنها وزينتها - إلا ما استثنى - بما يمنع الأجانب عنها من رؤية شئ من بدنها أو زينتها التي تتزين بها، ويكون استتارها باللباس وبالبيوت» (أبو زيد، ٢٠٠٥م: ص ٢٦)
- الحجاب الشرعي للمرأة هو ستر كامل الجسد ما عدا الوجه والكفين يكفي للحجاب الواجب الشرعي أن تستر المرأة جسدها ما عدا الوجه والكفين بأي ملبوس متاح ولا يشترط في هذا الأمر ارتداء زي خاص وإنما الإشكال يقع في ارتدائها أزياء ضيقة تظهر وتبرز مفاتن الجسد وأزياء الزينة.

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وعلاقتها بالحجاب :

إن المطالع في حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يجد نفسه أمام نموذج فريد من النساء الآتي وصلن إلى مرحلة الكمال، وليس من المستغرب هذا الأمر ممن حملت موروثات أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، والذي كان أفضل رسل السماء إلى الأرض وصفاته وأخلاقه كانت من أكمل الصفات وأتم الاخلاق، فلا عجب ان تمتلك السيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام ذلك المقام العظيم وتلك المنزلة الرفيعة اللذان لا يعرفهما ولا يدرك كنههما إلا الله سبحانه وتعالى ورسول الله صلى الله عليه وآله ومولانا الإمام أمير المؤمنين والأئمة الهداة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلقد أراد الله عز وجل لنبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الاستمرار في وجوده الإنساني والرسالي من خلال هذه السيدة العظيمة التي مثلت عطية الله تعالى لرسوله الأعظم صلى الله عليه وآله كما أشار إلى ذلك قوله تعالى «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» (الكوثر، ١-٣) فولادة الزهراء عليها السلام كانت تمثل ولادة أهل البيت عليهم السلام وحقيقة لولاها عليها السلام لما أمكن فهم وجود وتكون أهل البيت عليهم السلام وذلك في جانبهم الرسالي، ولذلك نجد أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يركز كل تعاليمه وبرامجه التربوية في ابنته فاطمة عليها السلام التي عكست هذه التعاليم واقعا عبر مواقفها التي برزت في التاريخ والتي كان لها الدور الأساسي في الحفاظ على الرسالة الإلهية، ولو تبعتها النزر اليسير من حياة هذه السيدة العظيمة والذي وصلنا رغم محاولة الأيدي الآثمة تغييب هذه السيدة نهائيا من التاريخ نجد أن الحجاب من أولى أولويات حياتها، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : «قال لنا رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: أي شيء خير للمرأة؟ فلم يجبه أحد منا، فذكرت ذلك لفاطمة عليها السلام فقالت: ما من شيء خير للمرأة من أن لا ترى رجلاً ولا يراها، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: صدقت، إنها بضعة مني» (العالمى، ١٩٦٥م، ج ٢٠: ص ٦٧) بمعنى أن تصون نفسها في مقابل التهديدات والأشراك الاجتماعية، بالتزام حجابها ولذلك نجد أن السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تحافظ على حجابها بكل ما أمكن لها من وسيلة فعن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلما انتهيت إلى الباب وضع يده عليه ودفعه، ثم قال: «السلام عليكم، قالت فاطمة: عليكم السلام يا رسول الله، قال: أدخل يا رسول الله، قال: أدخل ومن معي، فقالت: يا رسول الله ليس على رأسي قناع فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فأقنعي به رأسك، ففعلت ثم قال: السلام عليكم، فقالت: وعليكم السلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: ومن معي، قالت: ومن معك، قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخلت» (الكليني، ١٤٠٥هـ ج ٥: ص ٥٢٨) ولعل السيدة فاطمة عليها السلام أرادت أن تبين أهمية التمسك بالحجاب في كل الاوقات، ولعل هذا الأمر برز حتى مع فاقد البصر فعن جعفر بن محمد عليها السلام أنه قال: استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لِمَ تحجبينه وهو لا يراك؟ قالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأني أراه وهو يشم الريح فقال رسول الله: أشهد أنك بضعة مني" (الميرزا النوري، ١٤٠٨هـ ج ١٤، ص ٢٨٩)، كما نجد التاريخ ينقل لنا أنها عليها السلام في أحداث الخطبة الفاطمية القاصعة "لائت خمارها، ثم أقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تظاً أذيالها ما تخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" (المسعودي، ١٩٦١م: ص ٤٧٠)، وفي لفظة أخرى "لائت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمة من... (نفس المصدر السابق) وفي خبر زفاف فاطمة الزهراء عليها السلام "فكان مما اشتروه: قميص بسبعة دراهم، وخماراً بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خييرية، وعباءة قطوانية، و.. و..،" (السيد الأمين، ١٩٨٣م، ج ١: ص ٣١٢) وهذا ليدل على مدى تمسكها عليها السلام بالحجاب كون الخمار والعباءة كانا ضمن جهاز الزهراء عليها السلام، ولم يكن فيه إلا اللوازم الأساسية، والمقصود بالخمار هو غطاء الوجه كما قاله الشيخ إبراهيم نجل العلامة الأميني " (نفس المصدر السابق).

وهنا نجد أن الحجاب لم يكن ينفك عن السيدة الزهراء عليها السلام كونه قد ارتبط بها عليها السلام ارتباطاً وثيقاً، وهذا الارتباط لم يكن ليشكل عائقاً أمام المهام الملقاة على هذه السيدة العظيمة والتي لم تكن مهماً عادية بل إن مصير البشرية كان متوقفاً على مواقف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهنا

سنبين كيف أن هذه السيدة العظيمة بالرغم من تمسكها بحجابها إلا أنها استطاعت القيام بعدة أدوار في المجتمع البشري فمن أهم هذه الأدوار :

١ / الدور الأسري:

إن دور الأم والزوجة وربة البيت كان واحداً من أدوار ومهام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام المهمة، فعلى صعيد علاقتها بزوجها الامام عليه السلام فلقد كانت الزهراء عليها السلام تشجعه، وتمتدح شجاعته وتضحيته، وتسكن جراحه وتمتص آلامه، وتسري عنه أعباءه، حتى قال الإمام علي عليه السلام: «ولقد كنت أنظر إليها فتنجلي عني الغموم والأحزان بنظرتي إليها» (محمديان، ١٤١٧هـ، ج ١: ص ١٠٦) اضيف إلى حرصها على القيام بمهام الزوجية، فالمتتبع لسيرة الزهراء عليها السلام يجدها لم تخرج يوماً من بيتها بدون إذن زوجها، وما أسخطته يوماً وما كذبت في بيته وما خانته وما عصت له أمراً، ولقد قابلها الإمام علي عليه السلام بنفس الاحترام والود وهو يعلم مقامها ومنزلتها الرفيعة، حتى قال: «والله ما أغضبته ولا أكربتها من بعد ذلك حتى قبضها الله إليه، ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً» (نفس المصدر السابق).

كما نجدها عليها السلام قد بذلت جهداً كبيراً في تربية أبنائها على الصبر والتضحية والشجاعة والحكمة وغيرها من الأمور التي حرصت السيدة فاطمة على تعليم أبنائها إياها إما عن طريق الارشاد والتوجيه أو عن طريق تعويدهم على نمط معين أو سلوك معين كحرصها على اصطحابهم معها في أوقات عبادتها، فهي هو الإمام الحسن عليه السلام يرافقها فيراها تتعبد في محرابها حتى تتورم قدمها وهي تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فيسألها: يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فتقول: «يا بني، الجار ثم الدار». (العالمي، ١٩٦٥م، ج ٧: ص ١١٣) كما نجدها عليها السلام تجسد نموذج كيفية البذل في سبيل الله ليؤثر أولادها على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فنجدها عليها السلام تصوم معهم ثلاثة أيام، ولم تكن تفطر إلا على كسرات الخبز، لكي تقدّم كلّ ما تملك من الطعام صدقة في سبيل الله، فكانت تطعم الطعام على حبّه مسكيناً ويتيمّاً وأسيراً، ولذلك نجد القرآن الكريم قد أعظم هذا العمل فنزلت آيات تصف هذا الإيثار قال تعالى «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» (الانسان، ٨) ولقد استطاعت هذه السيدة العظيمة بتربيتها المتميزة لأبنائها أن تُخرج نماذج استثنائية لقادة كان لهم الدور الكبير في الحفاظ على البشرية من الوقوع في هاوية الشقاء، حيث نجد أن حكمة وحكمة الامام الحسن عليه السلام كان لها الدور الكبير في إفشال مخطط معاوية بن ابي سفيان الرامي إلى إنهاء الرسالة المحمدية الاصيلية، كما أن شجاعة وتضحية الامام الحسين عليه السلام قد حافظت

على الرسالة الالهية في فترة عصيبة بلغ فيها الانحراف أعلى مستوى، ولقد كان لصبر وبلاغة وشجاعة السيدة زينب عليها السلام في كربلاء وما بعد كربلاء الدور الكبير في تثبيت أهداف النهضة الحسينية التي شكلت الامتداد الحقيقي للرسالة المحمدية الاصيلية والتي حافظت على كفة الحق التي أراد الظالمون طمسها وانهاءها.

٢ / الدور الاجتماعي:

لقد كانت علاقة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بمن حولها علاقة وثيقة وإن كانت جليلة الدار، ويمكن ان نلاحظ قوة تلك العلاقة من خلال تعليمها الرجال والنساء من بحر علومها المتلاطم واكسابهم من معارفها الغزيرة طيلة أيام حياتها، ولم يكن دورها عليها السلام مقتصر على تعليم من حولها فحسب بل كانت تبرز من علومها عندما يحير الآخرون في الجواب ليتعلم المجتمع الأكبر، ففي رواية عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «حضرت امرأة عند الصديقة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك، فأجابتها الزهراء عليها السلام عن ذلك، فثنت فأجابتها، ثم ثلثت إلى عشرت فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة رسول الله، فقالت الزهراء عليها السلام: هاتي وسلي عما بدا لك، أرايت من اكرى يوماً يصعد إلى سطح بحمل ثقل وكراه مئة ألف دينار يثقل عليه؟ فقالت: لا، فقالت: اكرتيت أنا لكل مسألة بأكثر مما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً، فأحرى أن لا يثقل عليّ». (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٢: ص ٣)

كما نجد أن هذه السيدة العظيمة عندما رأت المجتمع الإسلامي يتجه نحو طريق الانحراف سعت جاهدة إلى توعيته رغم عمق المصيبة وشدة الخطب الذي ألم بها بعد فقدانها لأبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لكن حرصها على إعادة هذا المجتمع إلى رشده وصوابه جعلها تتحامل على نفسها التي فُجعت بفقد خير البشرية وتسرع إلى مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم لتلقي تلك الخطبة العظيمة التي كانت سبباً في ترسيخ دعائم الدين الإسلامي في فترة كادت أن تعصف بأتباع الرسالة الإلهية، حيث كان الشيطان آنذاك قد استحوذ على أفراد ذلك المجتمع وأنساهم ذكر الله، فسارعت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بتنبيه المجتمع لما يمكن عده علاجاً للأمراض التي قد استشرت به لكي تعيده الى طريق الصواب حيث قالت: «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، والصيام تهيئة للإخلاص، والحج تشييداً للدين والعدل تنسيقاً للقلوب وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة» (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٢٩: ص ٢٢٣).

وفضلاً عن ذلك نجدها عليها السلام قد حرصت على تعليم النساء ما يشكل عليهنّ من الأحكام الشرعية والمعارف الإلهية الضرورية، حيث «كان يغشاها نساء المدينة وجيران بيتها» (ابن أبي الحديد، ١٩٦٥م، ج ٩، ص ١٩٣)، ومما لا يشك فيه أن بيتها عليها السلام كان يُعد المدرسة النسائية الأولى في الإسلام، حيث كانت تقبل عليها النساء طالبات للعلم، فيجِدن فاطمة العالمة وهي تستقبلهنّ بصدر رحب لا يعرف الملاله والسأم، فعن الامام العسكري عليه السلام أنه قال : «قالت فاطمة عليها السلام وقد اختصمت إليها امرأتان، فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة، والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها، فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً، فقالت فاطمة عليها السلام : إنّ فرح الملائكة باستظهارك عليها أشدّ من فرحك، وإنّ حزن الشيطان ومردته أشدّ من حزنها» (المجلسي، ١٩٨٣م، ج ٢: ص ٨ - ١٥).

ولم يقتصر دور الزهراء عليها السلام على تعليم النساء بل كانت تطرف القاصدين إليها بما عندها من العلم والمعرفة، فعن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله صلى الله عليه وآله عندك شيئاً تطرفينه، فقالت: يا جارية، هاتي تلك الحرية، فطلبتها فلم تجدها، فقالت : «ويحك اطلبيها، فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً، فطلبتها فإذا هي قد قمتها في قماتها، فإذا فيها : قال محمد النبي صلى الله عليه وآله: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت، إنّ الله يحبّ الخير الحليم المتعقّف، ويبغض الفاحش الضنين السّئال الملحف، إنّ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، وإنّ الفحش من البذاء، والبذاء في النار» (الطبري، ١٣٦٩هـ، ج ١: ص ٦٥).

وهنا يجدر الإشارة إلى كون هذا التميز الذي امتازت به السيدة الطاهرة عليها السلام على الصعيد الاجتماعي من تعليمها الناس ومن حصولها على المكانة الاجتماعية المرموقة في المجتمع والمقامات الإلهية العالية لم يكن بمنأى عن حجابها و عفافها بل إنّ تعليمها للرجال كان من وراء حجاب وهذا يثبت أن الحجاب لا يُعد عائقاً أمام المرأة لتكون شخصية بارزة تلعب دوراً هاماً في مجتمعها.

٣/ الدور الجهادي :

إن المتأمل في حياة السيدة الزهراء عليها السلام يجد أن طفولتها كانت في مرحلة ابتدأ فيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مرحلة الجهاد والمقاومة الفكرية مع محيطه المجتمعي الذي تصدى بقوة لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستخدم أساليب متنوعة لردع الرسول وثنيه عن تأدية رسالته الإلهية، فكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تتعرّع في تلك الظروف المتأزمة التي كان

النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلما بالغ في الدعوة إلى الله والحق بالغ أعداؤه في التنكيل به وتعذيب أصحابه، كما نجدها عليها السلام قد كانت من جملة الأطفال الذين عايشوا مأساة شعب أبي طالب حيث منعت قريش عنهم الطعام فكانوا يتضورون جوعاً فتحملت عليها السلام طوال السنوات الثلاث في الشعب ذلك الجوع، ولم تنتهي مأساتها بعد خروجها من ذلك الحصار القاتل بل إنها بدأت عندما كانت تشاهد أذية قريش لأبيها المستمرة، ولعل التاريخ نقل إلينا حادثة واحدة - مغيباً حوادث كثيرة - صورت مدى ألم السيدة فاطمة على أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وتلك الحادثة هي إلقاء قريش سلا الجزور على رأس أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد يصلي لربه الأمر الذي جعلها تسرع إليه لتطرح عن رأسه الشريف سلا الجزور وقد أخذ منها الحزن والتأثر مأخذاً بليغاً، كما أنها عليها السلام قد شاهدت أباه وهو مهاجر إلى الطائف مُبلِّغ في أهلها دعوة الله ولم يستجب له أحد، وشاهدت ذلك اليوم الذي كانت أمها خديجة عليها السلام تضطرب على فراش الموت وتلفظ أنفاسها الأخيرة وهي لا تملك من مال الدنيا شيئاً بعدما كانت تجارتها تملأ سهول الحجاز وبطاحها حتى إذا استجابت دعوة ربها لم تملك حتى ما تُكفن به، فكل هذه المواقف كانت تشاهدها السيدة فاطمة وهي طفلة لم تبلغ الرشد بعد. لقد عايشَت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في السنوات الأولى من حياتها الشريفة تجارب قلما يعايشها أحدهم مجتمعة وما ذلك إلا لتكون مؤهلة لحماية الرسالة الإلهية بعد استشهاد أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فنجدها عليها السلام قد سايرت الدعوة في معركتها العنيفة وهي في قلب المعركة لأنها كانت بنت قائد المعركة وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك كانت تدور أينما دارت المعركة وتعيش وفق ما عاشت: صحيح أن التاريخ لم يذكر حوادث تتعلق مباشرة بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أثناء وجودها في مكة إلا أننا واثقون من أن حياتها فيها لم تكن خالية عن الأذى ولقد بلغت الصلافة بقريش الكافرة مبلغاً يدل على أنهم كانوا يؤذون أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأذيتهم للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وكأذيتهم لأهالي سائر المسلمين، وبالتالي فإن العقل يحزم بأن السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قد ابتليت بأذى قريش كثيراً، فلقد كانت حياتها محفوفة بالمخاطر هذا كله إلى جانب ما كان يصيبها من الأسى بصورة غير مباشرة. (انظر: المدرسي، ١٣٨٢هـ ص ٢٢)

كما كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في المدينة أيضاً ترافق الأحداث وتراقبها وبالتالي فإننا نجد أن شخصيتها عليها السلام كانت تنصل وتكتمل يوماً بعد يوم لتكون مستعدة لذلك اليوم الذي تحمل فيه راية الدفاع عن الرسالة السماوية، ولعل من أبرز المواقف التي نقلها لنا التاريخ عن هذه السيدة العظيمة موقفها في يوم أحد إذ دارت الحرب على المسلمين، فجاءت السيدة فاطمة

عليها السلام تُضمد جراح والدها برمد حصيرة أحرقتها وأخذت سيفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصي عليه السلام وغسلتهما ونظفتهما، فكانت هذه السيدة العظيمة نموذج للمرأة المجاهدة والمقاومة أمام كل التحديات التي تحاول أن تعصف بالمرأة في كل زمان ومكان.

٤ / الدور السياسي والقيادي:

بعد استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم شهدت المدينة صراعاً عنيفاً بين الجماعات الطامحة في الحكم والتي لم تكن تعتد بالنصوص المعتمدة، حيث سعت هذه الجماعات لإقصاء الشرعية الإلهية المتمثلة في الإمام علي عليه السلام ومحاولة إرغامه على البيعة، الأمر الذي جعل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تتصدى لهذا الانحراف الذي كان يهدد الأمة الإسلامية، فلقد كانت عليها السلام تشعر أن الرسالة تتعرض إلى ظلم كبير يتمثل بإخراجها عن مسارها الطبيعي في الجانب التطبيقي، فسعت عليها السلام إلى تعرية تلك التيارات الطامحة لمناصب الحكم عبر الخطبة التي ألقته عليها السلام في آخر أيامها والتي كشفت فيها محاولات تزيف الحقائق والتلاعب الذي حدث في مجريات الأحداث، فتمكنت السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام من خلال حركتها الجريئة من إثبات أحقية الإمام علي عليه السلام في خلافة المسلمين بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبطلان بيعة غيره، ولولا موقفها عليها السلام لكان من الممكن أن تزور هذه الحقيقة بحيث تصبح مجهولة وليس هذا أمراً غريباً في التاريخ الرسالي فنحن نعرف أن الكثير من الرسائل الإلهية تعرضت إلى التحريف والتزوير بحيث اختفت معالم الحق بصورة كاملة في مجاهل التاريخ وظلماته، ولولا موقف الزهراء عليها السلام التضحي لكان من الممكن أن يذهب هذا الحق مع التاريخ ولكن ثبات الحق وبقائه واستمراره إلى يومنا الحاضر كان بفضل موقف الزهراء عليها السلام.

كما نجدها عليها السلام قد ساهمت مساهمة كبيرة في توجيه النساء وإرشادهن إلى سبل الإسلام وكيفية الحفاظ عليه من خلال تربية مجتمع نسوي فذ يمتلك جميع المقومات التي يؤهله لبناء جيل واع يمتلك القوة الكافية للحفاظ على الهيكل الإسلامي للأمة، ولعل خطبتها التي ألقته على نساء المهاجرين والأنصار في مرضها عليها السلام قد لعبت دوراً كبيراً في الحفاظ على وجهه الإسلام الناصع وتعرية تلك الوجوه التي كانت تسعى لطمس ملامح الرسالة الإسلامية.

الحجاب ودوره في الحفاظ على المرأة من الآثار الناتجة عن تحديات العصر

لطالما تشدق الغرب بمصطلح الحرية للمرأة وسعى جاهداً لتصوير هذه الحرية على أنها هي التي تمنح هذه المرأة السعادة الحقيقية، ولقد صور هذه الحرية بصورة بعيدة عن الحجاب والعفاف بل إنه صرح بأن هذا الحجاب يُعد عائقاً للمرأة أمام إثباتها مكانتها في المجتمع حيث يجعلها مقيدة وغير فعالة

بل ومتخلفة لا تستطيع مواكبة العصر، ولعل هذه الإدعاءات قد كشفها واقع الحياة الغربية التي تعاني فيه المرأة أيما معاناة، حيث نجد في التقرير الذي أعده للحكومة الأمريكية ثلاثة أطباء باحثين، جاء أن ولاية لوس انجلس تأتي في المرتبة الأولى بين الولايات الأمريكية الأخرى من حيث عدد حالات الاغتصاب بالإكراه، وتأتي واشنطن في المرتبة الثالثة عشرة إلا أن هذا لا يعني أن النساء والفتيات في واشنطن في مأمن من التعرض للإعتداءات الجنسية، إنما عدد هذه الاعتداءات أقل فيها مما هو في المدن الكبيرة الأخرى. (مطهري، ١٩٨٧م، ج: ١ ص ٤٢) فهل هذه هي السعادة التي حققتها المرأة في ظل السفور والتعري؟ وهل التحرر من الحجاب كان هو الخيار الأمثل لإثبات المرأة لنفسها في المجتمع؟

إن فلسفة الحجاب الذي فرضه الله تعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلزَّوْجِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (الأحزاب، ٥٩) حيث ترتبط في الدرجة الأولى برفع مستوى المرأة واحترامها والحيلولة دون ابتذالها، فمن يطالع وضع المرأة في الجاهلية القديمة يجد أن المجتمع الجاهلي لم يكن يعترف بالمرأة كإنسان يحق له أن يتمتع بحقوق ومزايا في هذه الحياة، بل على العكس من ذلك نجد أنها كانت تُحرم من أبسط حقوقها وهو حقها في الحياة، فكان يُنظر إليها نظرة ازدراء واحتقار في غالب الأحيان، بحيث لا يُعتد بعقلها ويتم معاملتها معاملة الأداة التي لا يُلجأ إليها إلا عند الشهوات، بل نجد أنها تعامل في أحياناً كثيرة معاملة الحيوانات التي يتم استعمالها لحمل الأثقال وحرث الأرض، ولعلنا لا نجد فارقاً بين هذه الجاهلية القديمة البدائية وبين الجاهلية الحديثة، حيث نجد أن وضع المرأة لم يتغير - في المجتمعات المنادية بنزع الحجاب وإشاعة السفور والتعري - إن لم يكن قد ازداد سوءاً، فالمرأة في الغرب تُعرض للعنف من قبل الرجل بشكل يندى له الجبين، كيف لا ولا توجد قيم ولا أخلاق، فمن تحرش عنيف، إلى اغتصاب كامل، إلى ضرب يفضي إلى الموت، على يد الصديق العشيق أو الزوج المخمور، حيث تؤكد الإحصاءات أن معدلات قتل النساء في الغرب أصبحت أكثر من ظاهرة مخيفة ومرعبة، كما نجد أن الدراسات الغربية تؤكد أن المرأة عندهم لا تعطى أجراً مساوياً للرجل، وأنها تستغل جنسياً في أحوال كثيرة أثناء العمل، والحاصل هو أن المرأة في الغرب يجب عليها أن تعمل إن أرادت الحياة، وليس مطلوباً من أي رجل - والد أو أخ أو زوج - الإنفاق عليها كما في نظام الإسلام، ما يجعلها تمتهن وتستغل في أحيان كثيرة حين تعمل من أجل قوت يومها.

إن إشاعة ثقافة السفور والتعري والتي تحاول فصل المرأة عن حجابها الشرعي إنما هي من خصائص المجتمعات الرأسمالية الفاسدة الغربية، وهي واحدة من نتائج حب المال والتبذل، بل إنها واحدة من الوسائل والطرق التي يتوسل بها الغرب المستغل لتخدير المجتمعات الإنسانية وإجبارها على أن تكون

مجرد مجتمعات مستهلكة لكماليات لا حاجة للبشرية بها كتجارة مواد التجميل التي حرص الغرب على اشاعتها في المجتمعات الاسلامية، ولعل ما أورده الشهيد مرتضى المطهري في كتابه "مسألة الحجاب" من تقرير نشرته صحيفة اطلاعات حول المواد الاستهلاكية يكشف مدى حرص هؤلاء المستغلين على تخدير الشعوب وفسادهم حيث جاء في هذا التقرير «أنه خلال سنة واحدة استوردت البلاد ٢١٠ آلاف كيلو من مواد التجميل مثل "الماتيك" و"الحمرة" و"الكريم" و"البودرة" و"الرميل" الخاصة بالنساء، وقد بلغت كمية "الكريم" ١٨١ ألف كيلو من هذه الكمية، وقد منحت خلال الفترة المذكورة اجازات باستيراد ١٦٥٠ علبة بودرة و ٢٥٠٠ علبة بودرة للوجه، و ٤٦٠٤ أصابع ماتيك، ٢٢٨٠ قالب صابون للنحافة و ٢٢٨٠ حقنة للتجميل، ويضاف إلى ذلك ٣١٠٠ قطعة لتظليل العين و ٢٤٠٠ قطعة لتخطيط العين» (مطهري، ١٩٨٧، ج: ١، ص ٨١) هذا في ذلك الزمن فما بالنا في وقتنا الحالي.

إن من يعتقد أن الحجاب يقيد حرية المرأة ويمنعها من التقدم كونه يرى أن إجبارها على ارتدائه يُعد نقضاً لحق الانسان في الحرية واهانة للكرامة الإنسانية هو مخطئ، كون هذا الحجاب يرفع من مقام المرأة ويزيد في كرامتها ويوجب احترامها لأنه يصرف عنها أولئك الذين لا أخلاق لهم والذين همهم استغلال هذه المرأة لإشباع رغباتهم البهيمية، وهنا سنتعرض لبعض الآثار الناتجة عن بعد المرأة عن حجابها في واقعنا المعاصر ومدى المعاناة التي تعيشها جراء ذلك، فمن تلك الآثار:

١ / فقدان الهوية:

لكل أمة شخصيتها المميزة التي تتفرد بها عن غيرها، وهذه الشخصية تتبع من العقيدة التي تدين بها الأمة وما يتبع ذلك من خلق ومنهج وسلوك، وكل أمة واعية تحرص على هذا التفرد، وتناى بنفسها عن أن تكون عرضة لفقد عناصر تميزها، وأن تصير تابعاً ذليلاً لغيرها، ولقد تعرضت المرأة في المجتمعات وخصوصاً المرأة المسلمة لعملية طمس لهويتها الإيمانية من قبل الغزو الثقافي، حتى صارت نظرتها لنفسها ومطالباتها بالحقوق والحرية وفقاً للمفاهيم الغربية، بعيداً عن الدين والعرف والتقاليد، فنجدها تحضر مؤتمرات متعلقة بالمرأة، وتطالب مع الأخريات بما يضيع المجتمع ويقضي على الدين كتلك الشعارات التي تنادي بحرية المرأة حتى حريتها في جسدها التي يمكنها أن تهبه لمن شاءت، وحرية تحركها بإرادتها متى وكيف شاءت، فلا دين يحكمها، ولا زوج يأمرها، ولا أب يؤدبها، ولا قرآن يهديها، ولا يُهمها أن تعمل على نشر الشذوذ الجنسي والإباحية بلا خجل أو وجل، وكأنها لا تؤمن بربها والقرآن وبالأخرة، وكأنه ليس هناك جنة ولا نار ولا حساب، وهذه المرأة المنسلخة عن هويتها الإيمانية نجدنا تبحث عن السعادة في كل ما حولها فلا تجدها، بل نجدنا تعيش حالة الضياع وعدم الاستقرار كونها

أصبحت كالدمية تتقاذفها الأيدي لترميها في نهاية المطاف الأمر الذي يقودها إلى حالة الإكتئاب فيكون مصيرها الموت حتف أنفها.

أما المرأة الملتزمة بحجابها فلكونها قد أطاعت أمر ربها فإن السبل تفتح أمامها ويقذف الله في قلوب من حولها الهيبة من شخصها، وتكون المرأة المحجبة أكثر إطمئناناً واثراً من غيرها وبالتالي أكثر تمسكاً بمعتقداتها الإيمانية التي يصعب حرفها عن مسارها، الأمر الذي يضمن تماسك المجتمع الذي تعيش فيه تلك المتمسكة بحجابها وعدم اختراقه بسهولة.

٢- تكليف المرأة فوق طاقتها:

إن تخلي المرأة عن حجابها بدعوى الحرية يجعلها تُكلف بأعمال فوق طاقتها، كون هذه الحرية الخادعة لا تنظر إلى الوضع الطبيعي والفطري لكل من المرأة والرجل، فطاقة المرأة أقل من الرجل وبالتالي فإن مسؤولياتها لا بد أن تكون أقل، ولو تأملنا في المرأة التي تنقاد للدعوات الغربية الرامية إلى إسقاطها في مستنقع الرذيلة والانحطاط نجدنا في حالة يرثى لها كونها قد أُلزمت بتأدية الأعمال الشاقة التي يؤديها الرجال، الأمر الذي سبب في أذيتها جراء ذلك، فهناك الكثير من النساء الآتي أصبحت أجسادهن مليئة بالكدمات والجروح كونهن يقمن بالمهام التي يُفترض أن يقوم بها رجل مفتول العضلات. (انظر: مطهري، ٢٠٠٥م: ص ١٣) وهنا نجد الكثير من النساء يتمنين أن يعاملن معاملة النساء تقول السيدة ماك دانيل «إن إحدى النساء أصيبت بنزف داخلي من جراء حمل بعض الأثقال، إننا نريد العودة إلى الوضع السابق، نرغب في أن يعاملنا الرجال على أننا نساء لا عمال، أما بالنسبة لأنصار تحرر المرأة فهذا الموضوع سهل جداً إذ يجلسون في غرفة فخمة ليقولوا "يجب أن يتساوى النساء بالرجال" ذلك أنهم لم يعرفوا العمل في المعمل بعد، إنهم يجهلون أن جميع العاملات بأجر في هذه البلاد يعملن مثلي ويشقن في المعامل، إنني لا أريد هذه المساواة، إذ أنني لا أستطيع انجاز أعمال الرجال، إن الرجال أقوى منا أجساماً وإذا كان المطلوب أن ننافسهم في العمل والانتاج ويقاس عملنا بأعمالهم فإنني -من جانبي- أفضل الاعتزال» (انظر: نفس المصدر: ص ١٤)

وفي المقابل نجد أن المرأة المتمسكة بحجابها تعرف وضعها الطبيعي والفطري وبالتالي لا تكلف نفسها فوق طاقتها بدعوى المساواة كونها تُدرك أن إهمال الوضع الطبيعي والفطري يؤدي إلى إهدار حقوقها وامتتهان كرامتها.

٣- سلب أنوثتها :

لا يخفى أن الأنوثة علميا هي ما تتميز به المرأة من الصفات النفسية والجسدية، لكن هذه الكلمة تحمل الكثير من المعاني المرتبطة بالمرأة وما تمثله من معان جميلة، إنها أشبه بشحنة من المشاعر الرقيقة والإحساس

المرهف والقلب الذي يسع العالم بأكمله حنانا وحبا وعطاء، وهذه الأنوثة تبدأ بالاضمحلال مع هموم ومشاكل الحياة ودخول المرأة معترك الحياة العملية وارتفاع درجات مساواتها بالرجل، كون هذه المساواة تفقدها جزءا من بريق أنوثتها المميز، فالمرأة المتخلفة عن حجابها والتي تنادي بحرية المرأة تجدها تتعامل مع الرجل بدون قيود فهي ترى أنها لا تختلف عن الرجل بشيء، وهذه المرأة حتى لو كانت جميلة فإنها تفقد أنوثتها كون الحياء جزءا من الأنوثة التي تأسر الرجل، ولعل القرآن الكريم أراد أن يبين هذه الحقيقة من خلال قوله تعالى «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (القصص، ٢٤) فالقرآن أراد أن يخلد في أذهاننا مشهد الحياء، حيث نجده قد اقتنص الصورة ثم اطلعنا عليها لتبقى هذه اللقطة محفورة في الذاكرة كذكرى أبدية، تُذكرنا دائما أن الحياء سلوك الفطرة في الأنثى، لكن للأسف نجد صنف من النساء يقضيْنَ على هذه الصفة الجميلة ليحل مكانها العري الجسدي والأخلاقي، فصار العنف وعلو الصوت وإطلاق الكلمات البذيئة والجارحة من ميزات هؤلاء النسوة، وصرنا لا نفرق بين الرجل والمرأة، الأمر الذي أدى إلى اختلال موازين الفطرة مما سبب أذية للمرأة وجعلها تعيش في شقاء دائم.

الخاتمة:

لقد عانت المرأة قديماً جراء الظلم المحيط بها والذي كان يحرمها من أبسط الحقوق التي منحها الله لعباده على هذه الأرض، ولقد جاء الإسلام ليرفع هذه المظلومية عن المرأة ويمكنها من أن تعيش الحياة التي كفلها الله للجميع دون استثناء ولعل مسألة الحجاب كانت من المسائل التي حافظت على كرامة المرأة ورفعت من شأنها، بعكس ما يروج له الغرب من كون هذا الحجاب لا يتوافق مع مجريات العصر وأنه يحرم المرأة من حريتها ولذلك نجد اليوم المرأة الغير ملتزمة بحجابها في عصرنا هذا تعيش الجاهلية السابقة بجميع أنماطها، وهذا الأمر لا يعني أن الدين الإسلامي لم يعطي المرأة حقها أو لم يولي اهتماماً بها، بل إن تغيب القدوات الصالحة والنماذج المثلى كان هو المتسبب في تقديم صورة مشوهة عن المرأة المسلمة، كون الرسالة الخاتمة قد أملت واحتوت بجميع متطلبات الإنسان بما يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، ولعل تقديم نموذج كنموذج السيدة الطاهرة فاطمة عليها السلام قد يساعد على معرفة القيم والمبادئ التي يجب أن تتحلى بها المرأة المسلمة وخاصة مع الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الدين الإسلامي من قبل الدول الاستكبارية.

المصادر

القرآن الكريم

- ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي، (١٩٩٧م)، أحكام النساء، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، القاهرة، مصر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (١٣٣٠هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الثانية.
- أبو زيد، بكر بن عبدالله، (٢٠٠٥م)، حراس الفضيلة، الرياض، دار العاصمة، الطبعة الأولى.
- أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، (١)، شرح نهج البلاغة، ١٩٦٥م، القاهرة، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.
- الأمين، السيد محسن، (١٩٨٣م)، أعيان الشيعة، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية.
- الجرجاني، أبي الحسن علي بن محمد الشريف، (٢٠٠٧م)، التعريفات، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الاولى، الحر العاملي، محمد بن حسن، (١٩٦٥م)، وسائل الشيعة، طهران، مكتبة الإسلامي، الطبعة الأولى.
- الشيرازي، ناصر مكارم، (١٣٧١هـ)، تفسير الأمل، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة العاشرة.
- الطبري، محمد بن جرير، (١٣٦٩هـ)، دلائل الامامة، النجف، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية.
- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، (١٤٠٥هـ)، الكافي، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الخامسة.
- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، (١٩٨٣م)، بحار الانوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- محمديان، محمد، (١٤١٧هـ)، حياة أمير المؤمنين عن لسانه، النجف، مكتبة الروضة الحيدرية، الطبعة الاولى.
- المدرسي، السيد محمد تقي، (١٣٨٢هـ)، فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة وأسوة، قم، دار محبي الحسين عليه السلام، الطبعة الاولى.
- المسعودي، الشيخ محمد فاضل، (١٩٦١م)، الأسرار الفاطمية، بغداد، منشورات ذوي القربى، الطبعة الأولى.
- المطهري، الشيخ مرتضى، (١٩٨٧م)، مسألة الحجاب، تحقيق: عبدالكريم الزهيري، بيروت، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- المطهري، مرتضى، (٢٠٠٥م)، نظام حقوق المرأة في الإسلام، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- المقدم، محمد بن إسماعيل، (٢٠٠٧م)، عودة الحجاب، الرياض، دار طيبة، الطبعة الأولى.
- النوري، حسين بن محمد، (١٤٠٨ هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى.